تكنولوجي اعلى، من جهة، ويحصل على مساعدات جمّة، في هذا الصدد، من الامبرياليين الاميركيين، من جهة أخرى، واذا لم يحصل عليها، فانه «يلطشها». ولا حاجة، على كل حال، الى التخمين كثيراً في هذه الناحية. فمنذ فترة غير قصيرة تدور مشاورات مستمرة بين اميركا واسرائيل حول منح الأخيرة المعدات والاجهزة والتكنولوجيا الضرورية لتحييد «الخطر» العراقي. واذا لم يكن هنالك ما يبرر التقليل من جدية مثل هذه الاجراءات، او ما شابهها، فانها لا ينبغي، أيضاً، من ناحية ثانية، ان «تخيف» كثيراً، بمعنى انها قد تكون قادرة على تأمين حماية مطلقة للكيان الصهيوني، وبالتالي السماح له بالاستمرار في عربدته. فالمراقبون كافّة، أياً كانت اتجاهاتهم او انتماءاتهم، يكادون يجمعون على انه ليس هنالك ما يضمن أمناً مطلقاً في مثل هذه الحالات. اي انه مهما اتخذت اسرائيل من اجراءات في هذا المجال، تبقى هنالك امكانية ما لأن «يفلت» صاروخ عراقي ويخترق الحصار، او ان يستطيع طيار مقدام الوصول بطائرته الى الهدف؛ اي ان الردع الاستراتيجي الذي قام سيبقى قائماً، أياً كانت الاجراءات الوقائية المضادة التي قد يتمّ اتخاذها. ويفترض، كذلك، ان العراق، مع اتخاذه قراره بخوض معركة الردع والردع الاستراتيجي، لن يبقى ساكناً، مكتفياً باحراز ما أحرزه، بل ان يلجأ الى تطوير المزيد من مقوّمات هذا الردع، وصقلها، وجعلها أكثر فاعلية.

ولعل هذه المعطيات الجديدة هي سبب هذه «العقلانية» اللطيفة التي هبطت مؤخراً على زعماء اسرائيل فجأة. اذ يلاحظ ان هؤلاء، عندما يتطرقون الى المواقف العراقية، يبادرون بالقول ان العراق سيتعرض لضربات كبيرة، اذا «اعتدى» على اسرائيل، ويكتفون بذلك. والفرق بين هذه اللهجة «الظريفة» وبين العربدة السابقة، على غرار ان اسرائيل «لن تسمح» بكذا وكذا، واضح للغاية. وليس الوضع الجديد، بحد ذاته، هو الباعث الى هذا التغيير، بل ما يرافقه، أيضاً، من «مصداقية»، اذا صح التعبير. فلسبب، او لآخر، «يثق» الاسرائيليون بالمصداقية العراقية؛ وهم على قناعة بأن القيادات العسكرية والسياسية في العراق لن تتردد كثيراً في استعمال الاسلحة الكيميائية وغيرها ضد اسرائيل، ان دعت الحاجة الى ذلك. وهذه مصداقية لا تحظى بها جهات عربية أخرى على كل حال، وتشكل، بحد ذاتها، جزءاً من عملية الردع.

وتجدر الاشارة، في هذا الصدد، الى ان لهذه «المصداقية»، أيضاً، حساسية بالغة تغذيها دائماً. فالمعروف ان نسبة كبيرة من السكان في اسرائيل لا تزال تعيش في منطقة قليلة المساحة نسبياً، في تل ـ ابيب الكبرى وضواحيها. وأية ضربة لهذه المنطقة تلحق بالكيان الصهيوني اضراراً بالغة لا يمكن تعويضها؛ بل ان بضع ضربات الى هناك قد تكون بداية نهاية المملكة الثالثة. صحيح ان الحديث عن «غاز» و«يهود» سوية يثير ذكريات اليمة وصوراً بشعة، بل يكاد يعتبر عملاً «غير حضاري»، باعتبار انه يعيد الى الاذهان مآسي الحرب العالمية الثانية. ولكن ما باليد حيلة. لقد عربد الصهيونيون كثيراً، وهدّدوا وابتزوا واعتدوا، وخلفّوا وراءهم سجلاً حافلاً من الجرائم. فاسرائيل، كما هو معلوم، هي اول من ادخل الاسلحة الذرية الى المنطقة، ولم توقّع كذلك على اتفاقيات منع تلك الاسلحة، او الحد من انتشارها، وذلك لكي تكون قادرة على تحدي العرب بأجمعهم، في سياسة لا يمكن وصفها بالذكاء على المدى الطويل؛ اذ بالامكان تحدي امة، كالأمة العربية، تملك طاقات ضخمة، بشرياً ومادياً، خلال فترة من الزمن، قد تطول او تقصر، ولكن ليس من المعقول ان يستمر مثل هذا التحدي، على ما ينطوي عليه من اذلال، قائماً الى الأبد. ففي النهاية، لا بد ان يظهر من قد يستجيب له ويكيل الصاع صاعين. ونقول هذا لاعتقادنا بأن عوامل الردع الاستراتيجي لاسرائيل لن تتوقف عند الذخائر الكيميائية